ما وراء النهر

وأمَّا ما وراء النهر فيحيط به من شرقيّه فامر وراشْت، وما يتاخم الخُتَّل من أرض الهند على خط مستقيم، وغربيُّه بلاد الغُزِّيَّة والخزلجيَّة من حد طراز ممتدًّا على التقويس حتَّى ينتهي إلى فَارَاب وبيسكند، وسُغْد، سَمَرْقَنْد، ونواحي بخارى إلى خُوْارِزْم حتَّى ينتهي إلى بحيرتها، وشماليُّه الترك الخزلجيَّة من أقصى بلد فَرْغانة إلى الطَّراز على خط مستقيم، وجنوبيُّه نهر جيحون من لدن بَذَخْشَان إلى بحيرة خُوارزم على خط مستقيم، وجعلنا خوارزم والخُتَّل فيما وراء النهر؛ لأنَّ الختَّل بين نهر جرياب ووَخْشاب، وعمود جيحون جرياب، وما دونه من وراء النهر وخوارزم مدينتها وراء النهر، وهي إلى مدن ما وراء النهر أقرب منها إلى مدن خراسان.

ما وراء النهر من أخصب أقاليم الإسلام وأنزهها وأكثرها خيرًا، وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم إليه مع قلة غائلة وسلامة ناحية، وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدَّة شوكة ومنعة وبأس وعُدَّة وآلة، وكراع وسلاح.

فأمَّا الخصب بها، فإنَّه ليس من إقليم ذكرناه إلا يقحط أهله مرارًا قبل أن يقحط ما وراء النهر، ثمَّ إن أصيبوا ببَرَد، أو جراد، أو آفة تأتي على زروعهم، ففي فضل ما يسلم في عرض بلادهم ما يقوم بأودهم حتَّى يستغنوا عن نقل شيء إليهم من غير بلادهم، وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدن، أو قرى، أو مباخس، أو مراع لسائمة، وليس شيء لا بدَّ للناس منه إلا وعندهم منه ما يقيم أودهم ويفضل عنهم لغيرهم.

فأمَّا أطعمتهم فمن السعة والكثرة على ما ذكرناه، وأمَّا مياههم فإنَّها

أعذب المياه، وأخفُّها، قد عَمَّت المياه العذبة جبالها، وضواحيها، ومدنها، وأمَّا الدوابُّ ففيها من النتاج ما فيه كفاية لهم، مع كثرة ارتباطهم لها وكذلك البغال والحمر والإبل، وأمَّا لحومهم فإنَّ بها من النتاج ما يجلبونه من الغُزَّبَة والخزلجيَّة، وما يتَّصل بهم من حواليها ما يفضل عن كفايتهم، وأمَّا الملبوس ففيها من ثياب القطن ما يفضل عنهم حتَّى ينقل عنهم إلى الآفاق، ولهم الفراء والصوف والأوبار.

وببلادهم من معادن الحديد ما يفضل عن حاجتهم في الأسلحة والأدوات وبها معدن الفضَّة، والذهب، والزيبق الَّذي لا يقاربه في الغزارة والكثرة معدن في سائر بلدان الإسلام إلا بَنْجَهِير في الفضَّة، وأمَّا الزيبق والذهب، وسائر ما يكون في المعادن فأغزرها ما يرتفع من ما وراء النهر، وليس في شيء من بلدان الإسلام النوشاذر والكاغد إلا في ما وراء النهر، وأمَّا فواكههم فإنَّك إذا تبطَّنت السغد، وأُشْرُوسَنَة وفرغانة والشاش رأيتَ من كثرتها ما يزيد على سائر الآفاق حتَّى يرعاها لكثرتها دوابُّهم، وأمَّا الرقيق فإنَّه يقع إليهم من الأتراك المحيطة بهم ما يفضل عن كفايتهم ويُنقل إلى الآفاق من بلادهم، وهو خير رقيق يحيط بالمشرق كله، وبها من المسك الَّذي يجلب إليه من تُبَّت وخرخيز ما ينقل إلى سائر الأمصار منها، ويرتفع من الصَّغَانِيَان إلى واشجِرْد من الزعفران ما ينتقل إلى الآفاق، وكذلك الأوبار من السمُّور والسِّنجاب والثعالب وغيرها ممَّا يحمل إلى أقصى الغرب مع طرائف من الحديد والختوّ والبُزاة وغير ذلك ممَّا يحتاج إليه الملوك.

وأمَّا سماحتهم فإنَّ الناس في أكثر ما وراء النهر كأنَّهم في دارٍ واحدة ما ينزل أحد بأحد إلا كأنَّه رجل دخل دار نفسه، لا يجد المُضيّفُ من طارق في نفسه كَرَاهة بل يستفرغ مجهوده في إقامة أوده من غير معرفة تقدَّمت ولا توقُّعِ

مكافأة، بل اعتقادًا للسماحة في أموالهم، وهمَّة كلّ امرئٍ منهم على قدره فيما ملكت يده من القيام على نفسه ومن يطرقه، وبحسبك أنّك لا تجد فيهم صاحب ضيعة إلاَّ كانت همَّته ابتناء قصر فسيح ومنزل للأضياف فتراه عامَّة دهره متأنقًا في إعداد ما يصلح لمن طرقه، فإذا حلَّ بينهم طارق تنافسوا فيه وتنازعوه فليس أحد يتصرَّف بما وراء النهر في مكان به ناس يخاف الضَّياع في ليل أو نهار، فهم فيما بينهم يتبارون في مثل هذا حتى يُجحف بأموالهم ويُقدح في أملاكهم، كما يتبارى سائر الناس في الجمع ويتباهون بالملك والمكاثرة في المال، ولقد شهدتُ منزلاً بالسُّغْد قد ضُرب الأوتاد على باب داره فبلغني أنَّ بابها لم يُردّ منذ مائة سنة وأكثر، لا يمنع من نزولها طارق، وربَّما نزل بالليل بغتةً -من غير استعداد- المائة والمائتان والأكثر بدوابّهم وحشمهم، فيجدون من علف دوابّهم وطعامهم ودثارهم ما يعمُّهم من غير أن يتكلَّف صاحب المنزل أمرًا لذلك لدوام ذلك منهم.

قد أقيم على كلّ عمل من يستقلُّ به، وأعدَّ ما يحتاج إليه على دوام الأوقات بحيث لا يحتاج معه إلى تجديد أمر عند طروقهم، وصاحب المنزل من البشاشة والإقبال والمساواة لأضيافه بحيث يعلم كلُّ من شاهده سروره بذلك وسماحته، ولم أرَ مثل هذا ولم أسمع به في شيء من بلدان الإسلام لرعيَّة، ومع ذلك فإنَّك لا تجد في بلدان الإسلام أهل الثروة إلاَّ والغالب على أكثرهم صرف نفقاتهم إلى خاصّ أنفسهم في الملاهي وما لا يرضاه الله، وإلى المنافسات فيما بينهم في الأشياء المذمومة، إلاَّ القليل، وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر صرف نفقاتهم إلى الرباطات وعمارة الطرق، والوقوف على سبيل الجهاد ووجوه الخير، إلا القليل منهم، وليس من بلد ولا منهل ولا مفازة مطروقة ولا قرية آهلة إلاَّ بها من الرباطات ما يفضل عن نزول مَنْ طَرَقَه، وبلغني أنَّ بما وراءَ النهر زيادة على عشرة آلاف رباط، في كثير منها إذا نزل

النازل أقيم علف دابَّته وطعام نفسه إن احتاج إلى ذلك.

وقلَّ ما رأيتُ خانًا أو طرف سكَّة أو محلَّة أو مجمع ناس في الحائط بسمرقند يخلو من ماء جمدٍ مسبَّل، ولقد أخبرني من يُرْجَع إلى خبره أنَّ بسمرقند في المدينة وحائطها فيما يشتمل عليه السور الخارج زيادة على ألفي مكان يسقى فيها ماء الجمد مُسَبَّلاً من بين سقاية مبنيَّة وجباب منصوبة.

وأمَّا بأسهم وشوكتهم فإنَّه ليس في الإسلام ناحية أكبر حظًّا في الجهاد منهم، وذلك أنَّ جميع حدود ما وراء النهر، إلى دار الحرب.

أمَّا خوارزم إلى ناحية أَسْبيجَاب فهم الترك الغُزّيَّة، ومن أسبيجاب إلى أقصى فرغانة الترك الخَزْلجيَّة، ، ثمَّ يطوف بحدود ما وراء النهر من السفينة وبلد الهند من ظهر الخُتَّل إلى حدِّ الترك في ظهر فرغانة، فهم القاهرون لأهل هذه النواحي، ومستفيض أنَّه ليس في الإسلام دار حرب هم أشدُّ شوكةً من الترك، فهم ثغر المسلمين في وجه الترك يمنعونهم من دار الإسلام وجميع ما وراء النهر ثغر يبلغهم نفير العدو.

ولقد أخبرني من كان مع نصر بن أحمد رحه في غزاة شاوغر أنَّهم كانوا يحزرون ثلاث مائة ألف، وأنَّ أربعة آلاف رجل انقطعوا عن العسكر فضلّوا أيّامًا قبل أن يتهيَّأ لهم الرجوع، وما كان منهم من غير ما وراء النهر كثير عدد يُعرفون بأعيانهم، وبلغني أنَّ المعتصم كتب إلى عبد الله بن طاهر كتابًا عرَّض تهدُّده فيه، وأنفذ الكتاب إلى نُوح بن أسد فكتب إليه أنَّ بما وراء النهر ثلاث مائة ألف قريةٍ ليس من قرية إلاَّ خرج منها فارس وراجل لا يبين على أهلها فقدهم، وبلغني أنَّ بالشاش وفرغانة من الاستعداد ما لا يوصف مثله عن ثغرٍ من الثغور حتَّى إنَّ الرجل الواحد من الرعيَّة عنده من بين مائة دابَّة إلى

خمسمائة، وليس بسلطان، وهم على بعد دارهم أوّل سابق إلى الحجّ لا يدخل البادية قبلهم أحد، ولا يخرج منها بعدهم أحد.

وهم مع ذلك أحسن الناس طاعة لكبرائهم وألطفهم خدمة لعظمائهم وفيما بينهم، حتّى دعا ذلك الخلفاء إلى أن استدعوا ممّا وراء النهر رجالها وكانت الأتراك جيوشهم؛ لفضلهم على سائر الأجناس في البأس، والجرأة، والشجاعة، والإقدام.

ودهاقين ما وراء النهر قوّادهم، وحاشيتهم، وخواصُّ خدمهم للطفهم في الخدمة وحُسن الطَّاعة والهيئة في الملبس والزيّ السلطانيَّة فصاروا حاشية الخلافة وثقاتهم ورؤساء عساكرهم مثل الفراغنة والأتراك الَّذين هم شحنة دار الخلافة، والأتراك الَّذين كانوا لبأسهم ونجدتهم غلبوا على الخلافة، مثل الأفشين وآل أبي الساج من أشْرُوسَنَة والإخْشيذ من سمرقند والمرزبان بن تركسفي وعُجَيْف ابن عَنْبَسَة من السغد والبخار خذاه وغيرهم من أمراء الحضرة وقوّادها وجيوشها.

والملوك على هذا الإقليم وعلى سائر خراسان، آل سامان، وهم من أولاد بَهْرَام جُوبِين الَّذي سار ذكره في العجم بالبأس والنجدة، فلمثل هذه الأسباب ليس في الإسلام ملك أمنع جانبًا ولا أوفر عدَّة ولا أكمل أسبابًا للملك منهم؛ لأنَّه ليس في الإسلام جيش إلاَّ وهم شُذَّاذ القبائل والبلدان والأطراف، إذا تفرَّقوا في هزيمة وتمزَّقوا في حادثة لم يُلْتَقَ منهم جمع بعده غير جيش هؤلاء الملوك، فإنَّ جيوشهم الأتراك المملوكون، ومن الأحرار من يعرف داره ومكانه إذا قُتل منهم قوم أو ماتوا، ففي وفور عددهم ما يعاد من بين ظهرانيهم مثلهم، وإن تفرَّقوا في حادثة تراجعوا كلُّهم إلى مكان واحد، فلا يقدح فيهم ما يقدح في سائر عساكر الأطراف، ولا سبيل لهم إلى التفرُّق في العساكر والتنقُّل

في الممالك كما يكون عليه رسوم صعاليك العساكر وشحنة البلدان.

ولقد خرج بارس غلام لإسماعيل بن أحمد رحه في فتنة عبد الله بن المعتز هاربًا من أحمد بن إسماعيل رحه فخرج في عدَّة هالت الخلافة، وظهر أثرها بقدومه من العدد والآلة والكراع والسلاح، ولم يكن بحضرة الخلافة جيش مثله، وإنَّما كان عبدًا للسَّمَانيَّة لم يتبيَّن على أهل خراسان فقده، وليس في بلدان الإسلام ملوك قد أعرقوا في الملك يتوارثونه من أيام العجم مثلهم، وقد بينَّا أيَّام آل سامان في صفة فارس لأنَّهم من الفرس، فبينَّا مكانهم من فارس وسبب وقوعهم إلى خراسان وجوامع من سيرتهم وأيَّامهم ممَّا يغني عن إعادته.

وأمَّا نزاهة ما وراء النهر فإنّي لم أرَ ولا بلغني في الإسلام بلد أحسن خارجًا من بخارى، لأنَّك إذا علوتَ قلعتها لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتَّصل خضرتها بلون السماء، فكأن السماء بها مُكِبَّة خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما بينها كالنوائر فيها، وأراضي ضياعهم مقوَّمة بالاستواء كأنها المرآة، وليس بما وراء النهر وخراسان بلد أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى، ولا أكثر عددًا على قدرها في المساحة منهم، وذلك مخصوص بهذه البلدة لأنَّ الموصوف من متنزَّهات الأرض سُغْد سمرقند ونهر الأُبلَّة وغُوطة دمشق، على أنَّ سابُور وجُور من فارس لا تقصران عن غوطة دمشق ونهر الأبلَّة، ولكن الذكر لهذه الأماكن.

فأمَّا غوطة دمشق فإنَّك إذا كنتَ بدمشق ترى بعينيك على فرسخ وأقلَّ جبالاً قرعًا عن النبات والشجر وأمكنة خالية عن العمارة والخضرة، وأكمل النزهة ما ملأ البصر وسدَّ الأفق. وأمَّا نهر الأبلَّة فليس فيها ولا نواحيها مكان يستوقف النظر إلا نحو فرسخ منها، وليس بها مكان عالٍ، فيدرك البصر أكثر

من فرسخ، ولا يستوي المكان المستتر الَّذي لا يرى منه إلاَّ مقدار ما يرى من مكان ليس بالمستتر بالنزهة، ومكان يستعطف البصر منه سعةً في العيان وسفرًا في المنظر.

وأمَّا سغد سمرقند فلا أعرف بها ولا بسمرقند مكانًا إذا علا الناظر فيه على شرف إلاَّ وقع بصره على جبال خالية من الشجر أو صحراء غبراءَ، وإن كان مزَرَّعًا، على أنَّ غبرة المزارع في إضعاف خضرة النبات من الزينة، غير أنَّ الأرض الغبراءَ المنتشرة عن تقويمها في العمارة في العيان تسلب بهجة الخضرة، وتذهب بزينة الغبرة، ويحيط ببخارى وقراها ومزارعها سور قطره عشرة فراسخ في مثلها كلها عامرة.

وأمَّا سغد سمرقند فإنَّها أنزه الأماكن الثلاثة الَّتي ذكرنا؛ لأنها من حدِّ بخارى على وادي السُّغد يمينًا وشمالاً تتَّصل إلى حدّ البُتَّم لا تنقطع، ومقدارها في المسافة ثمانية أيَّام، مشتبكة الخضرة والبساتين، فهي ميادين وبساتين ورياض مشتبكة قد حُفَّت بالأنهار الدائم جريها، والحياض في صدور رياضها وميادينها، فخضرة الأشجار والزروع ممتدَّة على جانبي واديها، ومن وراء الخضرة من جانبيها مزارع تحرسها، ومن وراء هذه المزارع مراعي سوائمها، والقلعة من كلّ مدينة وقرية بها تبصُّ في أضعاف خضرتها كأنَّها ثوب ديباج أخضر قد سُيِّرت بمجاري مياهها وزُيِّنت بتبصيص قصورها، وهي أزكى بلاد الله، وأحسنها أشجارًا وثمارًا، وفي عامَّة مساكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية، قلَّ ما تخلو سكَّة أو دار من نهر جارٍ.

وبفرغانة والشاش وأشروسنة وسائر ما وراء النهر من الأشجار الملتفَّة والثمار الكثيرة والرياض المتَّصلة ما لا يوجد مثله في سائر الأمصار، وبفرغانة في الجبال الممتدَّة بينها وبين بلاد الأتراك من الأعناب والجوز والتفَّاح وسائر

الفواكه مع الورد والبنفسج وأنواع من الرياحين، كلُّ ذلك مباح لا مالك له ولا مانع دونه، وكذاك في جبالها وجبال ما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس في بلد وبأشروسنة ورد يتَّصل إلى آخر الخريف.

ولما وراء النهر كُوَرٌ أوَّلها فيما يصاقب جَيْحُون، على معبر خراسان كورة بخارى ويتَّصل بها سائر السغد المنسوب إلى سمرقند وأُشْرُوسَنَة والشاش وفَرْغانة وكِشّ ونَسَف والصَّغَانِيَان وأعمالها، والخُتَّل وما يمتدُّ على نهر جيحون من التِّرْمِذ والقُوَاذِيَان وأَخْسِيسَكك وخوارزم، وأمَّا فاراب وأَسْبِيجَاب إلى الطَّراز وإيلاَق فمجموع إلى الشاش، وأمَّا خُجَنْدة فمضمومة إلى فرغانة، وجمعنا ما بين وأَشْجِرْد والصغانيان إلى عمل الصغانيان، وجعلنا الخُتَّل فيما وراء النهر، لأنَّها ما بين وَخْشاب وجرياب، وجعلنا خوارزم ممَّا وراء النهر؛ لأنَّ مدينتها وراء النهر وهي إلى كور ما وراءَ النهر أقرب.

فأمَّا بخارى وكشّ ونسف فقد كان يجوز أن نجمعها كلَّها إلى السغد، ولكنَّا فرَّقناها ليكون أيسر في التفصيل وأخفَّ، وليس في جمع الأطراف بعضها إلى بعض ولا في تفريقها كبير درك غير الإبانة عمَّا في أعراضها من المدن والأنهار، وموضوعات المدن في صفاتها، فلا فرق بين الجمع في ذلك والتفريق إلاَّ لسهولة العبارة عنها في التفصيل، فنبدأُ ممَّا وراء النهر بجيحون فنذكره ونذكر ما عليه من الكور.

فأما جَيْحُونُ فإنَّ عموده نهر يعرف بجرياب يخرج من بلاد وخَّان في حدود بذخشان، فيجتمع إليه أنهار في حدود الخُتَّل والوخْش، فيصير منه هذا النهر العظيم، فمن هذه الأنهار نهر يلي جرياب يسمَّى بأَخْشوا، وهو نهر هُلْبُك ويليه نهر بربان، والثالث فارغر، والرابع نهر أنديجاراغ، والخامس نهر وَخْشاب وهو أعظم هذه الأنهار، فتجتمع هذه المياه قبل آرْهَن، ثم يجتمع مع وَخْشاب

قبل القُوَاذِيَان فيجتمع كُلُّه ويقع في جيحون بقرب القواذيان.

وأمَّا وَخْشاب فيخرج من بلاد الترك حتَّى يظهر في أرض الوخش ويضيق في جبل هناك حتَّى يعبر على قنطرة، ولا يُعلم ماء في كثرته يضيق مثل ضيقه في هذا الموضع، وهذه القنطرة الحدُّ بين الوخش وبين وَاشْجِرْد، ، ثمَّ يجري هذا الوادي في حدود بلخ إلى التِّرْمِذ، ، ثمَّ على كالف، ، ثمَّ إلى زمَّ، ، ثمَّ إلى آمُل حتَّى ينتهي إلى خوارزم، ، ثمَّ إلى بحيرتها، ولا ينتفع بماء هذا الوادي بالختَّل والترمذ إلى ناحية زمّ أحد فتعمر به زمّ وآمل وفربْر، ، ثمَّ ينتهي إلى خوارزم فيعمر خوارزم، وعامَّة نفعه لأهل خوارزم.

فأوَّل كورة على جيحون ممَّا وراء النهر الخُتَّل والوَخْشَ وهما كورتان غير أنَّهما مجموعتان في عمل واحد، وهما ما بين نهر جَرْياب ووَخْشاب.

فمن مدن الختَّل هُلْبُكك ومُنْك وتمليَات وفارغر وكاربنج واندجاراغ ورستاق بنك ومدن الوخش هَلاَوَرْد ولاَوَكَنْد، ومقام السلطان بِهُلْبُك، ومُنْك وهلاورد هما أكبر من هلبك غير أن مقام السلطان بهلبك، والَّذي يتاخم الوخش والختَّل وَخَّان والسفينة وكرَّان وهي دور كفر يقع منها المسك والرقيق، وبوَخَّان معادن من الفضَّة غزيرة، وفي أودية الختَّل ذهب يجمع في السيول من بلاد وخَّان، وبين وخَّان وتُبَّت قريب، وأرض الختَّل ذات زروع كثيرة ومياه وثمار، وهي على غاية الخصب والسعة وبها دوابٌّ ومواشٍ كثيرة.

فإذا جُزت الختَّل والوخش إلى نواحي واشجِرْد والقواذيان والترمذ والصغانيان وما في أضعافها فإنَّها كور مفردة بالأعمال، وأمَّا التِّرمِذُ فإنَّها مدينة على وادي جيحون لها قلعة ومدينة وربض، ويحيط بالربض أيضًا سور، ودار الإمارة في القلعة، والحبس خارج القهندز في المدينة في السوق، ومسجد الجامع

في المدينة والمصلّى داخل السور في الربض، وأسواقها في مدينتها، وأبنيتها طين ومعظم سككها وأسواقها مفروشة بالآجُرّ وهي عامرة آهلة وفرضة تلك النواحي على جيحون، وأقرب الجبال إليها على نحو مرحلة.

وماؤهم للشرب من جيحون ونهر يجري من الصغانيان، وليس لضياعهم من جيحون شرب، وشرب ضياعهم من نهر الصغانيان، ولها من المدن صَرْمَنْجَن وهاشم جرد، والقُوَاذيَان مدينة لها كورة، وهي أصغر من التّرمذ، ولها من المدن نودز والواشَجِرْد نحو الترمذ في الكبر، وشُوَمانُ أصغر منها، ويرتفع من واشجرد وشومان إلى قرب الصغانيان زعفران كثير يُحمل إلى الآفاق، ويرتفع من القواذيان الفُوَّة، والصَّغَانيَانُ مدينة أكبر من ترمذ إلاّ أنَّ الترمذ أكثر أهلاً ومالاً، وللصغانيان قلعة.

وأمَّا أَخْسِيسَك فهي بحذاء زَمَّ، وزمٌّ في أرض خراسان إلاّ أنهما مجموعتان في العمل، والمنبر بالزّم وهي مدينة خصبة صغيرة والغالب على أطرافها السوائم من الإبل والغنم، وعلى ظهر كلّ واحدة منهما مفاوز وآبار ومراعٍ، وأمَّا فَرَبْر فهي مدينة من بخارى قد وصفناها في جملة بخارى.

وأمَّا خُوَارِزْمُ فإنَّه اسم الإقليم، وهو إقليم منقطع عن خراسان وعمَّا وراء النهر، وتحيط به المفاوز من كلّ جانب، وحدُّها متّصل بحدّ الغُزِّيَّة فيما يلي الشمال والمغرب، وجنوبيُّه وشرقيُّه خراسان وما رواء النهر، وهي في آخر نهر جيحون وليس بعدها على النهر عمارة إلى أن يقع في بحيرة خوارزم وهي على جانبي جيحون، ومدينتها في الجانب الشماليّ من جيحون، ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمَّى الجُرْجَانِيَّة وهي أكبر مدينة بخوارزم بعد قصبتها، وهي متجر الغُزِّيَّة ومنها تخرج القوافل إلى جرجان والخزر وإلى خرسان.

وقد كان في التقدير أن نصوّرَ نصف خوارزم في صورة خراسان، ونصفها في صورة ما وراء النهر، غير أن الغرض في هذا الكتاب معرفة صور هذه الأقاليم ومدنها، فاخترتُ أن تكون خوارزم مجموعة في الصورة وجعلتُها في صورة ما وراء النهر، فأبلغ بذلك غرضي من غير تكرار في الصورتين، وبخوارزم من المدن سوى القَصَبة دَرْغَان وهَزَارَاسْب وَخِيوَه وخُشْمِيثَن وأَرْدَخُشْمِيثَنُ وسافَرْدَز ونُوزوار وكردران خواش وكُرْدَر، وقرية براتكين، ومذمينية ومرداجقان والجُرْجانِيَّة.

فأمَّا قصبتها فإنَّها تسمَّى بالخوارزميَّة كاث، ولها قلعة ليست بعامرة، وكانت لها مدينة فخرَّبها النهر، وبنى الناس من وراء المدينة، وقد قارب النهر القلعة ويُخاف على تهدُّمها، ومسجد الجامع على ظهر القلعة، ودار خوارزم شاه عند مسجد الجامع، والحبس عند القلعة، وفي وسط المدينة نهر جردور يشقُّ المدينة والسوق على جانبي هذا النهر، وطولها نحو ثُلُث فرسخ في نحوه، وأمَّا أبوابها فقد تهدَّم بعض المدينة وذهب أبواب ما تهدم منها، والباقي قد بُنِيَ خلف ما تهدم على الوادي.

وأوَّل حدِّ خوارزم يسمَّى الظَّاهِرِيَّة ممَّا يلي آمُل فيمتدُّ هذه العمارة في جنوبيّ جَيْحُونَ، وليس في شماليّه عمارة إلى أن ينتهي إلى قرية تسمَّى غارابخشنة، ، ثمَّ يكون من غارابخشنة إلى مدينة خوارزم عامرًا من جانبي جيحون جميعًا، وقبل غارابخشنة بستَّة فراسخ نهر يأخذ من جيحون فيه عمارة الرستاق إلى المدينة، ويسمَّى هذا النهر كَاوخوَارة وتفسيره أكل البقر، وهو نهر عرضه نحو خمسة أذرع وعمقه نحو قامتين، فيحمل السفن، ويتشعب من كاوخوارة بعد أن يجري خمسة فراسخ نهر يسمَّى كريه، يعمر به بعض الرساتيق.

وليس للعمارة على شطّ جيحون من الطاهريَّة إلى هَزَارَاسْب كبير عرض، ، ثمَّ يعرض بهزاراسب فيصير عرضه نحوًا من مرحلة إلى مقابل المدينة، ، ثمَّ لا يزال يضيق حتىَّ يصير بالجُرْجانيَّة نحو فرسخين، ثمَّ ينتهي إلى قرية تسمَّى كيت على خمسة فراسخ، من جوجاغ وهي قرية بقرب جبل، وليس في العرض عمارة غيرها، ووراء هذا الجبل المفازة.

ومن هزاراسب إلى سائر ما على غربي جيحون أنهار منها نهر هزاراسب يأخذ من جيحون ممَّا يلي آمُل، وهو نحو نصف كاخواره، ويحتمل السفن، ثمَّ على نحو فرسخين من هزاراسب نهر يعرف بكردران خواش، وهو أكبر من نهر هزاراسب، وبعده نهر خيوه وهو نهر أكبر من كردران خواش، وتجري فيه السفن إلى خيوه، وبعده نهر مدرا وهو نهر أكبر من كاوخُوَاره مرَّتين، تجري فيه السفن إلى مدرا، وبين نهر مدرا ونهر خيوه نحو ميل، ومن نهر مدرا إلى نهر وداك تجري فيه السفن إلى الجرجانيَّة، وبين نهر وداك ونهر مدرا نحو ميل، ومن نهر وداك إلى مدينة خوارزم نحو فرسخين.

وأسفل المدينة في ناحية الجرجانيَّة نهر يسمَّى بوه، فيجتمع ماء بوه وماء وداك في حدّ قرية تعرف بأندراستان أسفل منها إلى ما يلي الجرجانيَّة، ووداك أكبر من بوه، وتجري فيهما السفن إلى الجرجانيَّة على غلوة، ، ثمَّ يكون هناك سكر يمنع السفن، ومن مجتمع هذين الماءين إلى الجرجانيَّة نحو مرحلة، وبين نهر كاوخواره والمدينة اثنا عشر فرسخًا، وعرض نهر خوارزم عند المدينة نحو فرسخين، ولكُرْدَر نهر يأخذ من أسفل مدينة خوارزم على أربعة فراسخ من أربعة مواضع متقاربة، فيصير نهرًا واحدًا مثل بوه ووداك إذا اجتمعا، ويقال: إنَّ جيحون كان مجراه في هذا الموضع، وإذا قلَّ ماء جيحون يقلُّ الماء في هذا النهر.

وبحذاء كيت في المفازة بفرسخ من الجانب الشمالي المدينة الّتي تسمّى مَذمِينية وهي من جيحون على أربعة فراسخ إلاّ أنها من الجرجانيّة، وإنّما صار هكذا لأنّ النهر يحول من كُرْدر يقطع ما بين كيت ومذمينية، وليس على الشطّ بعد مذمنية عمارة، وبين جيحون وكردر رستاق مرداجقان، وبين مرداجقان وجيحون فرسخان، وهي بحذاء الجرجانية، ولكل قرية بين كردر والمدينة نهر يقع من جيحون، وجميع هذه الأنهار كلّها من جيحون، ، ثمّ ينتهي جيحون إلى بحيرة خوارزم بموضع فيه صيّادون ليس به قرية ولا بناء، ويسمى هذا الموضع خليجان، وعلى شطّ هذا البحر ممّا يلي خليجان أرض الغُزّيّة فإذا كان الصلح جاءوا من هذا الجانب إلى قرية براتكين.

ومن الجانب الآخر إلى الجرجانيّة وكلتاهما ثغر، وفي جيحون قبل أن يبلغ كاوخواره بنحو ثلاثة فراسخ جبل يقطع جيحون وسطه قطعًا، فيضيق النهر حتّى يعود عرض الماء إلى نحو الثّلث، ويسمّى هذا الموضع أبو قشة، وهو موضع يخاف على السفن منه من شدّة جريه والهور الّذي عند مخرجه، وبين الموضع الّذي يقع فيه نهر جيحون إلى الموضع الذي يقع فيه نهر الشاش من هذه البحيرة نحو أربعة أيّام، ووادي جيحون ربّما جمد في الشتاء حتّى يُعبر عليه بالأثقال ويبتدئ جموده من ناحية خوارزم حتّى يعلو حيث انتهى الجمد، وأبرد ما على جيحون من البقاع خوارزم، وعلى شط بحيرة خوارزم جبل جغراغز يجمد عنده الماء حتّى يبقى إلى الصيف وهو أجمة قصباء.

ودور هذه البحيرة فيما بلغني نحو من مائة فرسخ، وماؤها مالح وليس له مغيض ظاهر، ويقع فيها نهر جيحون ونهر الشاش وأنهار غيرهما، فلا يعذب ماؤها ولا يزيد على صِغَرها، ويشبه -والله أعلم- أن يكون بينها وبين بحر الخزر خروق، يتّصل بها ماؤهما، وبين البحرين نحو من عشرين مرحلة على

السمت.

وخوارزم مدينة خصبة كثيرة الطعام والفواكه إلاَّ أنها لا جوز بها، ويرتفع منها ثياب القطن والصوف أمتعة كثيرة تُنقل إلى الآفاق، وفي خواص أهلها يسار وقيام على أنفسهم بالمروّة، وهم أكثر أهل خرسان انتشارًا وسفرًا، فليس بخراسان مدينة كبيرة إلاَّ وبها من أهل خوارزم جمع كبير، ولسانهم لسان مفرد وليس بخراسان بلد على لسانهم، وزيُّهم القراطق والقلانس، وخلقهم لا يخفى فيما بين أهل خراسان، ولهم بأس على الغُزّيَّة ومنعة، وليس ببلدهم معادن ذهب ولا فضَّة، ولا شيء من جواهر الأرض، وعامَّة يسارهم من متاجرة الترك واقتناء المواشي، ويقع إليهم أكثر رقيق الصقالبة والخزر وما والاها، مع رقيق الأتراك والأوبار من الفنك والسمُّور والثعالب والخزّ، وغير ذلك من أصناف الوبر.

فهذا ما على جيحون من الكور، فنبدأ ممَّا وراء النهر في كورة بخارى؛ لأنَّها أوَّل الكور، وبها دار إمارة خراسان وهي مستقيمة على ترصيف كور ما وراء النهر، ، ثمَّ يتبع ما يليها على الاتِّصال إن شاء الله.

أمَّا بخارى واسمها بُومِجكَث فهي مدينة في مستوى، وبناؤها خشب مشتبك، ويحيط ببنائها قصور وبساتين وسكك وقرى تكون اثني عشر فرسخًا في مثلها، ويحيط بجميع ذلك سور يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة، فلا يُرى في أضعاف ذلك كلِّه مفازة ولا خِرَاب، ومن دون هذا السور على قصبة المدينة وما يتَّصل بها من القصور والمساكن والمحال والبساتين الَّتي تعدُّ مع القصبة، ويسكنها من يكون في جملة القصبة شتاءً وصيفًا سور آخر قُطْرُه فرسخ، ولها مدينة داخل هذا السور يحيط بها سور حصين، ولها قلعة خارج المدينة تتَّصل بها مقدار مدينة صغيرة، وفي داخلها

قلعة أخرى ومسكن ولاة خراسان من آل سامان في هذه القلعة، ولها ربض، ومسجد الجامع على باب القلعة في المدينة، وحبسها في القلعة وأسواقها في ربضها.

وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة أشدُّ اشتباكًا من بخارى، ولا أكثر أهلاً على قدرها، ولهم في الربض نهر السُّغْد يشقُّ الربض وأسواقها، وهو آخر نهر السغد فيُفْضي إلى طواحين وضياع ومزارع، ويسقط فاضله في مجمع ماء يجاور بِيكنْد إلى قرب فَرَبْر يعرف بسام خواش، وأمَّا المدينة فلها سبعة أبواب حديد: منها باب يعرف بباب المدينة، وباب يعرف بباب نور، وباب يعرف بباب حُفْرَة، وباب يعرف بباب الحديد، وباب يعرف بباب القهندز، وباب يعرف بباب بني أسد، وهو باب مهر، وباب يعرف بباب بني سعد.

ولقلعتها بابان: أحدهما باب الرِّيكستان، والآخر باب الجامع يشرع إلى مسجد الجامع، وعلى الربض دروب: فمنها درب يخرج منه إلى خراسان يعرف بباب الميدان، ويليه ممَّا يلي المشرق درب يعرف بدرب إبراهيم، ويلي هذا الدرب درب يعرف بدرب الرِّيُو، ويليه درب يعرف بالمردقشة، ويليه درب يعرف بدرب كلاباذ، وهذا الباب وباب المردقشة يُخرج منهما إلى نَسَف وبلخ، ويلي درب كلاباذ درب يعرف بالنُّوبهار، ويليه درب يسمَّى سمرقند يفْضي إلى سمرقند وسائر ما وراء النهر، ويليه درب فغاسكون، ، ثمَّ درب الرَّامِيثَنِيَّة، ، ثمَّ يليه درب حدشرون وهو طريق خوارزم، ، ثمَّ باب غُشَج.

وفي وسط الربض على أسوقها دروب: فمنها باب الحديد، ويليه باب قنطرة حسَّان، ويليه بابان عند مسجد ماج، ويليهما باب يعرف بباب رخنة، ويليه باب عند قصر أبي هشام الكناني، ويليه باب عند قنطرة السُّويقة، ويليه باب فارجك، ويليه باب دروازجه، ويليه باب سكَّة مُغَان، ويليه درب

سمرقند الداخل، وليس في مدينتها ولا قهندزها ماء جارٍ لارتفاعها.

ومياههم من النهر الأعظم، ويتشعب من هذا النهر في المدينة أنهار منها: نهر يعرف بنهر فَشِيديزَة، يأخذ من نهر بخارى في مكان يعرف بالورغ، يجري في درب المردقشة على جُوبَار أبي إبراهيم، حتَّى ينتهي إلى باب الشيخ الجليل أبي الفضل، ويقع في نهر نُوكَنْدَه، وعلى هذا النهر نحو ألفي بُستان وقصر سوى الأرضين، وما في هذا النهر إلا مغيضه نحو من نصف فرسخ.

ونهر يُعرف بجُويبار بكار، يأخذ من هذا النهر في وسط المدينة بموضع يعرف بمسجد أحيد، ويغيض بنُوكَنْد، وعلى هذا النهر شُرْب بعض الربض، ونحو من ألف بستان وقصر سوى الأرضين.

ونهر يُعرف بجُويبار القَوَارِيرِيّين يأخذ من النهر في المدينة بموضع يُعرف بمسجد العارض، فيسقي بعض الربض، وهي أغزر وأعمُّ للأراضي والبساتين من نهر بكار.

ونهر يعرف بجوغشج يأخذ من النهر عند مسجد العارض فيسقي بعض الربض حتَّى يخرج إلى نوكنده، وهو يعرف بجويبار العارض.

ونهر يُعرف بنهر بِيكَنْد يأخذ من نهر المدينة عند رأس سكَّة ختع، فيسقي بعض الربض ويغيض بنَوكَنْدَه، ونهر نُوكَنْدَه يأخذ من النهر عند دار حمدونة، وهو مغيض للمياه عليه شُرْب بعض الربض، ويفضي إلى المفازة، وليس عليه شرب ضياع، ويليه نهر الطاحونة، يأخذ من النهر في المدينة بموضع يعرف بالنُّوبَهَار، وعليه شُرْب بعض الربض، ويُدِير أرحيةً وينتهي إلى بِيكَنْد، ومنه شرب أهل بيكند.

ونهر يُعرف بنهر كُشنة، يأخذ من النهر في المدينة عند النوبهار، وعليه شرب النوبهار من الربض فيفضي إلى قصور وضياع كثيرة وبساتين، حتَّى يجاوز كشنة إلى مايَمُرْغ.

ونهر يُعرف بنهر رَبَاح، يأخذ من النهر بقرب الريكستان، فيسقي بعض الربض، وينتهي إلى قصر رباح، فيسقي نحو ألف من البساتين والقصور سوى الأرضين.

ونهر الريكستان يأخذ من النهر بقرب الريكستان، ومنه شرب الريكستان والقلعة ودار الإمارة حتَّى ينتهي إلى قصر جَلال دِيزة، ونهر يأخذ من النهر في المدينة بقرب قنطرة حمدونة، تحت الأرض إلى حياض باب بني أسد، وتقع فضلته في فارقين القهندز.

ونهر يُعرف بنهر زغاركنده يأخذ من النهر بمكان يعرف بورغ، فيجري على باب دروازجه، وعليه سوق دروازجه إلى باب سمرقند حتَّى ينتهي إلى سبيد ماشه، ويجاوزه نحوًا من فرسخ، وعليه قصور وبساتين وأراضٍ كثيرة.

وأمَّا رساتيق بخارى فمنها: الذر، وفرغيدد، وسخر، ورستاق الطَوَاوِيس، وبورق، وخَرْغَانَة السفلى، وبومة، ونجار جفر، ورستاق كاخُشْتُوَان، وأنديار كندمان، وسامجن ما دون، وسامجن ما وراء، وفراور السفلى، وأروان، وفراور العليا. فهذه الرساتيق داخل الحائط.

وخارج الحائط: جَزَّة، وشابخش، ويسير رستاق كَرِمِينِيَة، وخرغانة العليا، ورامند، وبَيْكَنْد، وفَرَبْر. ويتشعَّب من عمود نهر السغد في حدّ بخارى خارجًا عن القصبة من الحائط الخارج بناحية الطَّوَاوِيس، إلى أن ينتهي إلى باب المدينة أنهار كثيرة تتفرَّق في القرى والمزارع في الحائط، وعليها عمارة قرى

بخارى، فمنها:

نهر يُعرف بسافري كام يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى وَرْدانه وعليه شُربهم.

ونهر يُعرف بخَرْغان روذ، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى راوس، وعليه شُرْبهم.

ونهر يُعرف بنجار جفر يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى خَرْمَيْثَن، وعليه شُرْبهم.

ونهر يعرف بنهر جُزْغ، يأخذ من النهر حتَّى ينتهي إلى الجُزْغ وعليه شربهم، فيعود الفاضل في النهر.

ونهر يُعرف بنُوكَنْده، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى فرانة، وعليه شربهم.

ونهر يُعرف بنهر فَرَخْشَة، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى فَرَخْشَة، ومنه شُرْبهم.

ونهر يُعرف بنهر كشنة يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى كشنة، وعليه شربهم.

ونهر يُعرف بنهر الرَّمِيثَنَة، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى الراميثنة، وعليه شُرْبهم.

ونهر فراور السفلى يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى فاراب، وعليه شُرْبهم.

ومنها نهر يعرف بأروان، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى بَانَب، وعليه شُربهم.

ونهر يُعرف بفراور العليا، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى أوبوقار، وعليه شربهم.

ونهر يُعرف بنهر خامة، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى خامة، وعليه شربهم.

ونهر يُعرف بتنكان، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى وركة، وعليه شربهم.

ونهر يُعرف بنهر نُوكَنْدَه، يأخذ من النهر فيسقي القرى حتَّى ينتهي إلى نُوباغ الأمير وعليه شربهم، وما فضل من ماء نهر السغد فإنَّه يجري في نهر يعرف بالذر، وهو النهر الذي يشقُّ ربض بخارى، ومنه أنهار المدينة الَّتي ذكرناها. وأكثر هذه الأنهار تحمل السفن كبرًا وغزارة، وكلُّها تأخذ من النهر داخل حائط بخارى من حدّ الطَّوَاوِيس إلى أن ينتهي إلى المدينة.

وأبنية قرى بخارى كلُّها على اشتباك البناء والتقدير في المساكن وارتفاع أراضي الأبنية، وهي محصَّنة بالقلاع بالأبنية المجموعة، وليس في داخل الحائط جبل ولا مفازة، وأقرب الجبال إليها جبل وَرْكَة، ومنه حجارة بلذهم للفرش والأبنية، ومنه طين الأواني والنورة الجصُّ، ولهم خارج الحائط ملاَّحات، ومحتطبهم من بساتينهم وما يحمل إليهم من المفاوز من الغضا والطرفاء.

وأراضي بخارى كلُّها قريبة إلى الماء؛ لأنَّها مَغِيض ماء السغد، ولذلك لا تنبت الأشجار العالية فيها، مثل الجوز والدُّلب والخوَّر وما أشبهه، فإذا كان

منه شجر فهو قصير غير نامٍ. وفواكه بخارى أصحُّ ما وراء النهر وألذُّها طعمًا.

ومن عمارة بخارى أن الرجل ربما قام على الجريب الواحد من الأرض فيكون منه معاشه، ومن كثرة عددهم أنَّ ما يرتفع من بلادهم يقصر عن كفايتهم لوفور عددهم وتضاعفهم على ما يخرج من أراضيهم، فيحمل إليهم المِيَر من الطعام، وسائر ما يحتاجون إليه من سائر ما وراء النهر.

والجبل الَّذي يتَّصل ذيله بقرية وَرْكة جبل يمتدُّ إلى سمرقند فيما بين كِشّ وسمرقند حتّى يتَّصل بجبال البُتَّم عاطفًا على أُشْرُوسَنَة في عرض فَرْغانة حتى يخرج على ناحية شلجي والطراز، ثم يمتد فيما أخبرني به من سلك تلك السبل إلى حدِّ الصين.

وهذه المعادن التي بأشروسنة، وفرغانة، وإيلاق، وشَلْجِي، ولبان، إلى أرض خرخيز كلُّها في عمود هذا الجبل، وما يتَّصل به من الجبال والنوشاذر الذي في عمل البُتَّم، والزاج، والحديد، والزيبق، والنحاس، والآنك، والذهب، والجَرَاغ سَنْك، والنفط، والقير، والزفت، والفيروزج، والنوشاذر الذي بفرغانة.

والجبل الذي ذكرتُهُ بفرغانة أنه يحترق حجارته مثل الفحم، والثمار المباحة التي وصفتُها بفرغانة، كلُّ ذلك في هذا الجبل في سنامه أو سفحه أو ما يتَّصل به، وفي هذا الجبل بناحية البتَّم، وجبال السَّاوَدَار بسمرقند مياه حرٍّ وبردٍ، غير أنَّ فيها عيونًا تجمُد في الصيف إذا اشتدَّ الحرُّ حتَّى تصير كالأعمدة، وتنقطع ويكون ماؤها في الشتاء حارًّا، وتأوي إليها السوائم لدفء موضعها في الشتاء.

ولبخارى مدن داخل حائطها وخارجًا عنه: فأمَّا داخل حائطها

فالطَّوَاوِيسُ وهي أكبر منبر بعد القصبة، وبَمجْكَث، وزَنْدَنَة، ومَغْكان، وخُجَادة.

وخارج الحائط: بَيْكَنْد، وفَرَبْر، وكَرْمِينِيَةَ، وخُدِيَمْكَن، وخَرغَانْكَث، وَمِذْيَانجْكَث.

فأمَّا الطَّوَاوِيس فإنَّها مدينة لها سوق ومجمع عظيم ينتابه الناس من أقطار ما وراء النهر في وقت معلوم من السنة، ويرتفع منها من الثياب القطن ما ينقل إلى سائر المواضع، وهي مدينة كثيرة البساتين والماء الجاري، خصبة، ولها قلعة ومدينة، ومسجد جامعها في المدينة، وأمَّا المدن التي داخل الحائط فهي متقاربة في الكبر والعمارة، ولكلّ منها حصن.

وأمَّا كَرْمِينِيَة فهي أكبر من الطواويس وأعمر، وأكثر عددًا وأخصب وخديمنكن من كرمينية، وبحذائها خَرْغَانْكَث ومَذْيَانجْكَث، وهي متقاربة في الكبر والعمارة، ولكرمينية قرى كثيرة، وكذلك لكل منبر قرى ومزارع إلاّ بينكد، فإنَّها وحدها غير أنَّ بها من الرباطات ما لا أعلم في بلدان ما وراء النهر أكثر عددًا منها، وبلغني أنَّ عددها نحوٌ من ألف رباط، ولها سور حصين ومسجد جامع، وتُؤنَّق في بنائه وزُخْرِف محرابه، فليس بما وراء النهر محراب أحسن زخرفًا منه.

وفَرَبْر مدينة قريبة من جيحون، ولها قرى، وهي عامرة خصبة، وأمَّا لسان بخارى فإنَّها لسان السغد، إلاَّ أنه يحرَّف بعضه، ولهم لسان الدَّريَّة، وأهلها يرجعون من الأدب إلى ما يفضلون به ما وراء النهر، ونقودهم الدرهم، ولا يتعاملون بالدينار فيما بينهم، وهي كالعَرْض إلاَّ أنَّ لهم درهمًا يسمُّونه الغِطْرِيفيَّ، وهي دراهم من حديد وصفر وآنك، وغير ذلك من جواهر مختلفة

قد رُكّبت فَلا يجوز هذا الدرهم إلا في عمل بخارى وَحْده، وسكّته تصوير، وهو من ضرب الإسلام، وكذلك المُسَيّبيَّة والمحمَّديَّة من ضرب الإسلام.

وأمَّا زيُّهم فالغالب عليهم الأقبية والقلانس على زي أهل ما رواء النهر، ولهم داخل الحائط وخارجه أسواق متَّصلة معلومة في أوقات من الشهر دارَّة، يجري فيها من الشراء والبيع للثياب، والرقيق، والمواشي، وغير ذلك ممَّا يتَّسع به أهلها، ويرتفع من بخارى ونواحيها من ثياب القطن ما يُنقل إلى الآفاق، وكذلك البُسُط والمصلَّيات، وثياب من الصوف تستحسن، ويتحدَّث أهل بخارى أنَّ من بَرَكَة القلعة أنَّه لم تخرج منها جنازة والٍ قطُّ، وما عُقدت فيه راية خرجت فهُزمت، وهذا من الاتفاق العجيب إنْ صحَّ.

ويقال: إنَّ أصل أهل بخارى في قديم الأيام ناقلة إصطخر، وسكن ولاة خراسان السَّامَانيَّة بخارى؛ لأنَّها أقرب مدن ما وراء النهر إلى خراسان، فمن كان بها فخراسان أمامه وما وراء النهر وراءه، ولهم من حسن الطاعة وقلَّة الخلاف على الولاة ما يؤدي إلى اختيار المقام بينهم على سائر ما وراء النهر، وأوَّل ولاة خراسان من آل سلمان إسماعيل بن أحمد، جاءته ولاية خراسان وهو ببخارى فاستدام المقام بها، فبقيت الولاية بها في أولاده، وقد كان ولاة ما وراء النهر يقيمون قبل ذلك إمَّا بسمرقند وإمَّا بالشاش وفرغانة في وجوه الترك، وكان عمل وُلاة بخارى يحزر مفردًا من خراسان إلى أن زالت أيَّام آل طاهر.

وأمَّا خُجَادة فهي على يمين الذاهب من بخارى إلى بيكند على ثلاثة فراسخ، وبينها وبين الطريق نحو فرسخ.

وأمَّا مَغْكان فإنَّها من المدينة على خمسة فراسخ عن يمين طريق بيكند،

وبينها وبين الطريق نحو ثلاثة فراسخ.

وأمَّا زَنْدَنَة فإنَّها من المدينة على أربعة فراسخ شماليَّ المدينة.

وأمَّا بوجِكَث فإنَّها على يسار الذاهب إلى الطَّوَاويس على أربعة فراسخ، وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ، ومن كَرْمينيَة إلى خُدِيَمْنكَن فرسخ فيما يلي السغد، وبين خديمنكن وطريق سمرقند غلوة عن يسار الذاهب إلى سمرقند ومَذْيَانجَكث وراء وادي السغد، أعلى من خديمنكن بمقدار فرسخ، وخَرْغَانْكَث بحذاء كرمينية على فرسخ من وراء الوادي.

ويتَّصل ببخارى من شرقيِّها السُّغْد، وأوَّلها إذا جزت كرمينية الدَّبُوسِيَة، ، ثمَّ رَبِنجَن، والكَشَانِيَة، وإشْتِيخَن، وسَمَرْقَنْد، وكلُّ هذا قلب السغد على أنَّ من الناس من يزعم أنَّ بخارى وكِشّ ونَسَف من السغد، ولكنَّا أفردناها.

وقصبة السُّغْد: سَمَرْقَنْدُ، وهي مدينة على جنوبيِّ وادي السغد مرتفعة عليَّة، ولها قلعة ومدينة وربض، فأما القلعة ففيها الحبس ودار الإمارة عامران، وأمَّا المدينة فلها سور، وأربعة أبواب: باب الصين في جهة المشرق، وباب نُوبَهار في جهة المغرب، وباب بخارى في جهة الشمال، وباب كشّ في جهة الجنوب، ولها أسواق ومساكن وماء جارٍ يُدخل إليها في نهر من رصاص، وهو نهر تد: بُنيت له مُسَنَّاة عالية من حجارة يجري عليها الماء من الصفَّارين حتَّى يدخل من باب كشّ، ووجه هذا النهر رصاص كلُّه، وذلك أنَّ حوالي المدينة خندقًا قد تسفَّل؛ لأنَّه استعمل طينه في سور المدينة فبقي حواليها خندق عظيم فاحتيج إلى مسنَّاة في هذا الخندق يجري الماء عليها إلى المدينة، وهو نهر جاهلي في وسط السوق بموضع يعرف برأس الطاق، وهو أعمر موضع بسمرقند، وعلى جنبات هذا النهر غلال موقوفة على مرمَّات هذا النهر، وعليه حَفَظَة من

المجوس عليهم حفْظُهُ شتاءً وصيفًا.

والمسجد الجامع في المدينة بينه وبين القلعة عرض الطريق، وفي المدينة مياه من هذا النهر وبساتين، وفيها دار الإمارة لآل سامان، غير دار الإمارة بالقلعة، والمدينة من الربض على جانبه قريب من وادي السُّغْد الذي هو بين الربض والمدينة، وذلك أنَّ سور الربض ممتد من وراء وادي السغد من مكان يعرف بأفشينة على باب كُوهُك، حتَّى يطوف بوَرْسَنِين، ، ثمَّ يطوف على باب فَنَك، وعلى باب ريودَد، ، ثمَّ إلى باب فرخشيذ، ، ثمَّ إلى باب غَدَاوَد، ، ثمَّ يمتدُّ إلى الوادي، والوادي للربض كالخندق ممَّا يلي الشمال، ويكون قطر السور المحيط بربض سمرقند فرسخين، غير أنَّ الربض شربه ومجمع أسواقه رأس الطاق، ، ثمَّ تتَّصل به الأسواق والسكك والمحالُّ، وفي تضاعيف ذلك قصور وبساتين فليس من سكَّة ولا دارٍ إلاَّ وفيها ماء جارٍ، إلاَّ القليل. وقلَّ دار تخلو من بستان، حتَّى إنَّك إذا صعدتَ أعلى القلعة لم تبدُ المدينة للمنظر؛ لاستتارها بالبساتين والأشجار.

وأكثر الأسواق والتجارات في الربض، إلاَّ شيئًا يسيرًا في المدينة، وهي فرضة ما وراء النهر، ومجمع التجار، ومعظم جهاز ما وراء النهر يقع بسمرقند، ، ثمَّ يتفرَّق إلى سائر الكور، وكانت دار إمارة ما وراء النهر بها إلى أيَّام إسماعيل ابن أحمد فنقلها إلى بخارى، ولسور ربضها أبواب، منها: باب غَدَاود، وباب اسْبَسْك، وباب سُوخَشِين، وباب أفشينة، وباب وَرْسَنِين، وباب كُوهُك، وباب بريوَدَد، وباب فرخشيذ.

ويزعم الناس أنَّ تُبَّعًا بنى مدينتها، وأنَّ ذا القَرْنَيْن أتمَّ بعض بنائها، ورأيتُ على باب كشّ صفيحة من حديد قد كُتب عليها كتابةً، زعم أهلها أنَّها بالحميريَّة، وأنَّهم يتوارثون علم ذلك بأنَّه بناء تُبَّع، وكتب عليه أنَّ من صنعاء

إلى سمرقند ألف فرسخ، وأنَّ كتابته من أيّام تُبَّع، فوقعت فتنة بسمرقند في أيّام مقامي بها، وأُحرق الباب وذهبت الكتابة، وأعاد ذلك الباب أبو المظفَّر محمَّد ابن لُقْمان بن نصر بن أحمد بن أسد، كما كان من حديد من غير تلك الكتابة.

وتربة سمرقند من أصح تربة وأيبسها، ولولا كثرة البخارات من المياه الجارية في سككهم ودورهم وكثرة أشجار الخلاَّف بينهم، لأضرَّ بهم فرط يبسها. وبناؤها طين وخشب، وأهلها يرجعون إلى جمال بارع ورزانة، وهم من الإفراط في إظهار المروَّة، وتكلُّف القيام على أنفسهم ما يزيدون على سائر بلاد خراسان، حتَّى يجحف ذلك بأموالهم.

وبسمرقند مجمع رقيق ما وراء النهر، وخير الرقيق بما وراء النهر تربيةً سمرقند، وبينها وبين أقرب الجبال نحو مرحلة خفيفة، إلا أنَّه يتَّصل بها جبل صغير يعرف بكُوهُك، يمتدُّ طرفه إلى سور سمرقند، وهو مقدار نصف ميل في الطول ومنه أحجار بلدهم، والطين المستعمل في الأواني والنورة والزجاج...، وغير ذلك، وبلغني أنَّ به ذهبًا وفضَّة، غير أنَّه لا يتسوَّغ العمل فيه، والبلد كلُّه: طرقه ومحالُّه وسككه -إلاَّ قليلاً- مفترش بالحجارة، ومياههم من وادي السُّغْد، وهذا الوادي مبدؤه من جبال البُتُّم على ظهر الصَّغانِيَان، وله مجمع ماء يعرف بجن، مثل بحيرة حواليها قرى، وتعرف الناحية بِبُرْغَر فينصبُّ منها بين جبال، حتَّى ينتهي إلى بُنْجِيكَث، ، ثمَّ ينتهي إلى مكان يعرف بوَرَغْسَر، وتفسيره: رأس السكر، ومنه تتشعب أنهار سمرقند، ورساتيق تتَّصل بها من غربيّ الوادي من جانب سمرقند.

فأمَّا أنهار الجانب الشرقيّ على الوادي فإنَّها تأخذ بحذاء وَرَغْسَر بمكان يعرف بغوبار، وذلك أنَّ بهذا المكان تنفسح الجبال، وتظهر الأراضي التي يمكن فيها الزرع، وجري الأنهار، فتأخذ من وَرَغْسَر أنهار منها: نهر بزش،

ونهر بارمش، ونهر بشمين، فأمَّا نهر برش فإنَّه نهر يمتدُّ على ظهر سمرقند، فمنه أنهار المدينة والحائط والقرى التي تتَّصل بها من مبتدئه إلى منتهاه، وأمَّا نهر بارمش فإنَّه يلي هذا النهر من ناحية الجنوب وعليه القرى من أوَّله إلى آخره نحو مرحلة، وأمَّا نهر بشمين فإنَّه من بارمش ممَّا يلي الجنوب، ويسقي من أوَّله إلى آخره قرى كثيرة، غير أنَّ انقطاعه دون انقطاع هذين النهرين.

وأكبر هذه الأنهار برش، ، ثمَّ بارمش، وهما يحتملان السفن، ويتشعب من هذه الأنهار أنهار يكثر إحصاؤها، حتَّى يعمر بها من القرى والمزارع من ورَغْسَر إلى آخره رستاق يعرف بالدَّرْغَم على عشرة فراسخ في الطول، وعرضه نحو أربعة فراسخ إلى نحو فرسخ، وهذه الرساتيق كلُّها تعرف بوَرَغْسَر ومَايَمُرْغ وسنجرفَغَن والدرغم.

وأمَّا الأنهار التي تأخذ من غوبار فإنَّها: نهر إشتيخَن، والسناواب، ونهر بوزماجز، ويتشعب من وادي السغد أنهار كثيرة على امتداده بحذاء كل بلدة وكلّ ورستاق، فمنها: أنهار رَبِنْجَن، وأنهار الدَّبُوسيَة، وأنهار كرمينية حتَّى ينتهي إلى بخارى ويكثر عدد الأنهار برستاق سمرقند؛ لكثرة عدد قراها وتعدُّدها، وربَّما كان للقرية الواحدة منها نهران وثلاثة، ويكثر في المدينة انشعاب الأنهار الصغار بحسب عدد الدور، والبرك، والبساتين، والقصور، ومن أطلَّ من شَرَفٍ على وادي السغد لم يرَ إلاَّ خضرة ممتدَّة لا يتخلَّلها إلاَّ قصر أو قلعة، وبوَرَغْسَر: كروم وضياع وبساتين قد أزيل عنها الخراج، وجُعل على أهلها عوض الخراج إصلاح سكور ذلك الماء، وأحكام بثوقه، وامتداد الوادي في الصيف يكون من ثلوج جبال البتَّم، وأشروسنة، وسمرقند.

وأمَّا رساتيق سمرقند فإنَّ أولها بُنْجِيكَث ومدينتها بُنْجِيكَث، ثم تليها وَرَغْسَر، ومدينتها وَرَغْسَر، ويلي بُنْجِيكَث جبال السَّاوَدَار، وليس بها منبر،

وبين السَّاوَدَار وورغسر فيما يلي سمرقند، ورستاق مايَمُرْغ وسنجرفغن وليس بهما منبر، غير أنَّ بما يَمُرْغ مكانًا يعرف بالريودَد، كان بها مقام الإخشيذ ملك سمرقند، وهي قرية فيها قصور الإخشيذية، وسنجرفغن وورغسر كانا من مايمرغ فأفردا عنها، ويتَّصل برستاق مايمرغ رستاق الدَّرْغَم، وليس به منبر، ويتَّصل برستاق الدرغم رستاق أَبْغَر وليس به منبر، والسَّاوَدَار هو الجبل الَّذي عن جنوبيِّ سمرقند، وليس بنواحي سمرقند رستاق أصحُّ هواءً ولا زرعًا وفواكه منه، وأهلها أصحُّ الناس ألوانًا وأبدانًا، وطوله زيادة على عشرة فراسخ وبالساودار عُمْرٌ للنصارى يعرف بوزكرد، ورستاق الدَّرْغَم أزكى هذه الرساتيق في الزروع، ويفضل من أعنابها ما يحمل إلى غيرها من الرساتيق، وأمَّا أَبْغَرُ فإنَّها مباخس غير أنَّ قراها أكثر عددًا من رساتيق سمرقند، وأراضيها منجبة، بلغني أن القفيز البَذْر يُرِيعُ بها مائة قفيز، وبها مراعٍ كثيرة، فهذه رساتيق سمرقند عن جنوبيِّ الوادي.

فأمَّا شماليُّه فإنَّ أعلاها يَارْكَث وهي متاخمة لأُشْرُوسَنَة، وليس بها منبر وماؤها ليس من ماء السُّغْد، وإنَّما هي عيون والمباخس بها كثيرة، ومراعيها واسعة خصبة، ورستاق بُورْنَمَذ، ممَّا يلي أشروسنة وليس بها منبر وقراها يسيرة ، ويتصل بياركث رستاق بوزماجز، ممَّا يلي سمرقند، ومدينتها بَارْكَث ويتَّصل بها رستاق كَبُوذَنْجَكَث وهو رستاق مشتبك القرى والأشجار، ومدينتها كَبُوذَنْجَكَث ، وعلى ظهر هذا الرستاق رستاق وَذَار، ومدينتها وذار وهو رستاق خصب كثير الزروع، له سهل وجبل وسقي ومزارع ومراعٍ ووذار، وكثير من قرى هذه الرساتيق لقوم من بكر بن وائل، يعرفون بالسباعيَّة كانت لهم بسمرقند ولايات وكانت لهم بها دور ضيافات وأخلاق حسنة، ويتَّصل به رستاق المرزبان وهو المزربان بن تركسفي الَّذي كان استدعي إلى العراق في جملة دهاقين السغد.

ونقود سمرقند الدراهم الإسماعيليَّة والمكسَّرة، والدنانير، ولهم دراهم تعرف بالمحمَّديَّة تركَّب من جواهر شتَّى من حديد ونحاس وفضَّة وغير ذلك.

واشْتِيخَن مدينة مفردة في العمل عن سمرقند ذات رساتيق وقرى كثيرة البساتين والمتنزَّهات، ولها مدينة، وقلعة، وربض، وأنهار مطَّردة، ومن بعض قراها عُجَيْف بن عَنْبَسَة، وأسواق اشْتِيخَن هي التي استصفاها المعتصم، ، ثمَّ أقطعها المعتمد محمَّد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر.

والكُشَانِيَة أعمر مدن السغد مقاربةً لاشْتِيخَن في الكبر ولها قرى ورستاق دون اشْتِيخَن في المقدار، والدَّبُوسيَة وأَرْبِنْجَن من جنوبيّ الوادي على جادَّة خراسان، وأَرْبِنْجَن أكبر رستاقًا من الدبوسيَة وقلب مدن السغد الكُشَانِيَة.

وكِشّ مدينة ما ورآء النهر وهي مقدار ثُلُث فرسخ في مثله، بناؤها من طين وخشب، وفواكهها كثيرة تُدرك قبل غيرها؛ لأنَّها من الجروم، ولها أربعة أبواب: باب الحديد، باب عبيد الله، باب القصَّابين، باب المدينة الداخلة، وهي مدينتان: داخلة، وخارجة، ولها نهران كبيران: نهر القَصَّارين، ونهر أسرود، وهما يجريان على باب المدينة وبها يسقط التَّرَنْجُبِين الَّذي يُحمل إلى الآفاق.

وأمَّا نَسَف فمدينة لها ربض وسور، وأربعة أبواب: باب النجارية، وباب سمرقند، وباب كِشّ، وباب غُوبَذِينن، ولنسف قرى كثيرة ونواحٍ، ولها منبران سوى منبر المدينة، والغالب على قراها المباخس، والخصب، والسعة، ونهرها ينقطع في بعض السَّنَة، فيسقون بساتينهم، ومباقلهم، ومباطخهم، بالآبار حتَّى يعود الماء في النهر.

وأمَّا أُشْرُوسَنَة فاسم الإقليم كما أنَّ السغد اسم الإقليم، و ليس ، ثمَّ مدينة بهذا الاسم، و الغالب عليها الجبال، وحدود أشروسنة: غربيُّها حدود سمرقند، وشماليُّها الشاش وبعض فرغانة، وجنوبيّها بعض حدود كشّ والصغانيان وشُومان، ووَاشجِرْن، وراشْت، وشرقيّها بعض فرغانة، ومدنها أرسيانيكت وكركث، وغزَق، ووغكث، وسَابَاط، وزَامين، وديزَك، ونُوجَكَت، وخَرَقَانَة، ومدينتها الَّتي يسكنها الولاة هي بُونْجِكَت، وبناؤُها طين وخشب، وهي مدينة داخلها مدينة أخرى على كلّ منهما سور، وللمدينة الداخلة بابان، ويجري في المدينة الداخلة نهر كبير عليه فيها رحى، ويشتمل حائطها على: دور، وبساتين، وقصور، وكروم، وقطرها نحو فرسخ، وأبوابها أربعة: باب زَامين، باب مرسمندة، باب نُوجَكَت، باب كهلباذ، ولها ستَّة أنهار كلُّها من منبع واحد، هو من المدينة على أقلّ من نصف فرسخ، وتليها في الكبر زَامينُ وهي على طريق فرغانة إلى السغد وتسمَّى المدينة سوسندة.

وديزَك مدينة في السهل بها رباطات، وخانات، وماء ينبع من عين، وهي كثيرة النُّزه، والبساتين، والمياه، وليس بجميع أشروسنة نهر تجري فيه سفينة، ولا بها بحيرة.

والبُتَّم جبال شاهقة منيعة، وأكثرها تغلَّب عليها البرد، وبالبُتَّم حصون منيعة جدًّا، وفيه معدن الذهب، والفضَّة، والمزاج، والنوشاذر: وهو جبل فيه مثل الغار يبنى عليه بيت ويستوثق من أبوابه وكواه، فيرتفع من الغار بُخَار يشبه بالنهار الدخان، وبالليل النار فإذا تلبَّد هذا البخار قلع منه، وهو النوشاذر، ولا يتهيَّأ لأحد أن يدخله من شدَّة حرّه إلاَّ أن يلبس لبودًا، ويدخل بها كالمختلس، وهذا البخار يتنقَّل من مكان إلى مكان فيحفر عليه حتَّى يظهر، فإذا انقطع من مكان حُفِر عليه من مكان آخر فظهر منه، والبُتَّم جبال تسمى:

البتم الأول والأوسط، والداخل، وماء سمرقند، والسغد، وبخارى من البتم الوسطى، ومينك: الموضع الَّذي قاتل فيه قُتَيْبَةَ بن مسلم، وحَصَر الأَفْشين هناك.

وأما الشاش وإيلاق، فإنَّ مقدار عرضهما مسيرة يومين في ثلاثة، وهي كثيرة القرى، والعمارات، والمنابر، وهي في أرض سهلة كثيرة المراعي، والرياض، وبالشاس وبإيلاق مدن كثيرة ذوات أبواب، وأسوار، وأرباض، وقلاع، وأسواق، وأنهار تخترق بعض المدن مدن الشاش بِنْكَث، ودنفغانكت، وجِينَانْجَكَث، ونجاكث، وبَنَاكِت، وخَرَشْكَت، وأشبينغو، وأردلانكت، وخُدينكت، وكنكراك، وكلشجك، وغرجند، وغنَّاج، وجبوزن، ووردوك، وكبرنه، وغدرانك، ونُوجَكَث، وغَزكَ، وأُنوذكت، وبغُنكث، وبركوش، وجاتونكث، وجيغوكث، وفَرَنْكَث، وكداك، ونكالك.

ومدن إيلاق قصبتها تعرف بتُونْكَت، ولها من المنابر سكاكت، وبانجخاش، ونوكث، وبالايان، وأربيلخ، ونموذلغ، وتُكَّث، وخُمْرك، وبِسْكَت، وكُهسيم، ودَخْكَث، وخلش، وخرجانكت، والشاش، وإيلاق متَّصلة لا فصل بينهما، وبإيلاق معدن ذهب، وفضَّة، وأكبر مدن إيلاق نوكث، وتونكت، وليس بها وراء النهر دار ضرب إلاَّ بسمرقند، وتُونكت، وأمَّا أَسْبِيجَاب فمدينة نحو الثُّلث من تونكت، وفي ربضها بساتين، ومياه، وأبنيتها طين، ولها أسواق مشحونة، وهي خصبة كثيرة الغلاَّت والمنافع، وليس بما وراء النهر مدينة خراج عليها إلاَّ إسبيجاب، وحولها مدن وقرى كثيرة.

وأمَّا خُجَنْدَة فمتاخمة لفرغانة، وهي على غربيِّ نهر الشاش، ليس في عملها مدينة غير كَنْد، ولها نهر عظيم يُسافر فيه بالمتاجر والميَر.

وفَرْغَانَة اسم الإقليم، وقصبتها أَخْسِيكت، وهي مدينة على شطّ نهر الشاش يحيط بها سور، وخارجه ربض يحيط به سور آخر، وتليها في الكبر مدينة قُبَا، وهي مدينة من أنزه تلك المدن لها قلعة، وربض، وجامع، وأسواق، ثم مدينة أوش، وهي عامرة مسوَّرة لها قلعة، ودار إمارة، وهي ملاصقة للجبل الَّذي عليه مرقب الأحراس على الترك.

وأُوزْكَنْد آخر مدن فرغانة ممَّا يلي دار الحرب، ولها سور، وربض، وقلعة، ومياه جارية، وبساتين، وليس بها وراء النهر أكبر من قرى فرغانة، وربَّما بلغت القرية مرحلة لكثرة أهلها، وانتشار مواشيهم ومزارعهم، ولفرغانة كور لكلّ كورة منها عدَّة مدن، ولكل مدينة منها رستاق فيه عدَّة قرى منها: كورة كَاسَان، وكورة جِدغَل، ومِيَان، ورُذان، ومدينتها خَيْلام، وبها مولد الأمير أبي الحسن نصر بن أحمد في دار خير بن أبي الخير، ويرتفع من فرغانة أكثر ما في أيدي الناس من الذهب والفضَّة والزيبق، ويخرج من جبالها الجراغ سنك، والفيروزج، والحديد، والصفر، والذهب، والآنك، وبأَسْبَرَة جبل حجارة سود تحرق كما يحرق الفحم، تباع منه ثلاثة أوقار بدرهم، ورماده يبيِّض الثياب.

المسافات بما وراء النهر: الطريق من وادي جيحون بفَرَبْر إلى فرغانة، ومن فربر إلى بِيكَنْد مرحلة كبيرة: من بيكند إلى بُخَارَى مرحلة، ومن بخارى إلى الطوَّاوِيس مرحلة، ومن الطواويس إلى كَرْمِينيَة مرحلة، ومن كرمينية إلى الدَّبُوسِيَة مرحلة خفيفة، ومن الدبوسية إلى رَبِنْجن مرحلة خفيفة، ومن ربنجن إلى زَرْمان مرحلة، ومن زرمان إلى سمرقند مرحلة، ومن سمرقند إلى أَبَارْكَث مرحلة، ومن أباركث إلى رباط سَعْد مرحلة، وفي هذه المرحلة إذا جُزْتَ برباط أبي أحمد مفرق طريق فرغانة والشاش، ومن رباط سعد إلى بُورْنَمَذ مرحلة،

ومن بورنمذ إلى زَامين مرحلة، ومن زامين إلى سَابَاط مرحلة، ومن ساباط إلى أركَنْد مرحلة، ومن أركند إلى شَاوَكَت مرحلة، ومن شاوكت إلى خُجَنْدَة مرحلة، ومن خجندَة إلى كَنْد مرحلة، ومن كند إلى سُوج مرحلة، ومن سوج إلى رشْتَان مرحلة، ومن رشتان إلى زَنْدَرَامش مرحلة، ومن زندارمش إلى قُبَا مرحلة، ومن قبا إلى أُوش مرحلة كبيرة، ومن أوش إلى أُوزْكَنْد مرحلة كبيرة هذا هو الطريق القصد، ومن فربر إلى أوزكند، وهي آخر ما وراء النهر، ومن أراد: من خجندة إلى أَخْسيكَت قصبة فرغانة خرج من كَنْد إلى سُوج مرحلة، ومن سوج إلى خُوَاكَنْد مرحلة كبيرة، ومن خواكند إلى أَخْسشيكَت مرحلة، وهناك طريقان: أحدهما في المفازة، والرمال سبعة فراسخ: إلى باب أخسيكت ثُمَّ تعبر نهر الشاش إلى أخسيكت، والآخر تعبر النهر إلى باب خمسة فراسخ، ومن باب إلى أخسيكت أربعة فراسخ فجميع المسافة من فربر إلى أُوزكند ٢٣ مرحلة.

وأما طريق الشاش إلى أقصى بلد الإسلام فإنَّك تخرج من أباركث إلى قطَوَان ديزه مرحلة، وطريق الشاش وفرغانة واحد إلى رباط أبي أحمد، ثم تعدل عن يسارك إلى الشاش إذا خرجت من رباط أبي أحمد فتنزل قطوان ديزه، وإن شئت نزلتّ خَرَقَانَة، ومنها إلى دِيزَك، ومنها إلى بئر الحسين ، ثمَّ بئر حميد ثم بئر وينكرد ، ثمَّ أُسْتُورْكث ، ثمَّ تُونْكَت ، ثمَّ إلى رباط بالقلاص يسمَّى أنفرن ، ثمَّ إلى غُزكود (قرية) ، ثمَّ إلى اسْبِيجّاب ، ثمَّ إلى بُدَخْكَت، ومن بدخكت إلى الطَّرَاز يومان لا رباط بينهما، ولا عمارة، ومن أراد طريق بَنَاكت فإنَّه ينزل من أَبَارْكَث رباط سعد، ومنه إلى زامين، ومن زامين إلى خاوَس، ومن خاوس إلى بناكت ، ثمَّ إلى استوركث، فذلك من وادي جيحون إلى الطراز ٢٢ مرحلة.

والطريق من بخارى إلى بلخ: من بخارى إلى قراجون مرحلة ، ثمَّ إلى ميانكال مرحلة ، ثمَّ إلى مايمُرْغ مرحلة كبيرة ، ثمَّ إلى نَسَف مرحلة ، ثمَّ إلى سُونْج مرحلة، ومن سونج إلى الدادكي -وهو ديدجي- إلى كَنْدَك مرحلة، ومن كندك إلى باب الحديد مرحلة، ومن بابَ الحديد إلى رباط رازيك مرحلة ، ثمَّ إلى هاشم جرد مرحلة ، ثمَّ إلى التزمذ مرحلة، ومن التزمذ تعبر إلى سياه جرد مرحلة، ومنها إلى بلخ مرحلة، وذلك من بخارى إلى بلخ ١٣ مرحلة.

والطريق من سمرقند إلى بلخ: تخرج من سمرقند إلى كشّ يومين ، ثمَّ إلى كندك ٣ مراحل، ويتَّصل طريق بخارى وسمرقند إلى بلخ.

والطريق من بخارى إلى خوارزم: الطريق في المفازة تخرج من بخارى مرحلة إلى فَرْخَشَة عامرة، ثمَّ تسير ٨ مراحل كلَّها في مفازة لا منزل بها، ولا رباط، ولا ساكن إنَّما هو سير على المرعى؛ فلذلك لم يُكتب له منازل.

فأمَّا من أراد أن يعبر جيحون إلى آمل ويسير إلى خوارزم، فإنَّ من بخارى إلى فربر مرحلتين، ومن فربر تعبر الوادي إلى آمل؛ فتسير من آمل في حدّ آمل إلى ويَزة مرحلة، ومن ويزة إلى مردوس مرحلة، ومن مردوس إلى أسباس مرحلة، ومن أسباس إلى سيفانة مرحلة، ثمَّ إلى الطاهريَّة مرحلة، ثم إلى جكربند مرحلة، ثمَّ إلى دَرْغَان مرحلة ، ثمَّ إلى سدور مرحلة ، ثمَّ إلى هَزَارَسْب مرحلة ، ثمَّ إلى مدينة خوارزم مرحلة؛ فذلك من بخارى إلى خوارزم على العمارة ١٢ مرحلة، وهذه المسافات بين مشاهير المدن بما وراء النهر، والطريق إلى أُشْرُوسَنَة قد دخل في طريق فرغانة؛ لأنَّك إذا دخلت إلى فَرَغَانَة وزامين فهي من مدن أشروسنة.

وسنذكر المسافات بين أقاليم ما وراء النهر: فنبدأ من الخُتَّل إلى خوارزم،

ثمَّ بأقاليم ما وراء النهر مسافات الختَّل والصَّغَانِيَان، وما بينهما من معبر بَذَخْشَان على نهر جرياب إلى منك ٦ مراحل، ومن منك إلى قنطرة الحجر على وخْشاب مرحلتان فإذا نزلتَ على نهر وخْشاب فإلى لِيوَكَنْد مرحلتان، وتنزل على الماء أيضًا إلى هَلاَورد مرحلة، وهلاورد وليوكند على شط وخشاب، وهما مدينتا الوخش، ومن معبر آرْهَنَ إلى هلاورد مرحلتان، ومن المعبر إلى هُلْبُك يومان ومن هلبك إلى منك يومان، وكاربنج فوق معبر آرهن على نهر جرياب بنحو من فرسخ، وتمليات من قنطرة الحجر على ٤ فراسخ في طريق منك، ومن معبر بَذخْشان إلى رستاق بنك مرحلتان، ومن رستاق بنك تعبر نهر أنديجاراغ، ثم تدخلها، وبين رستاق بنك وأنديجاراغ مرحلة، ومن أنديجاراغ تعبر نهر فارغر، ثمَّ تدخل فارغر بينهما يوم تعبر نهر برسان إلى هلبك، فهذه مسافة ما بين الوخش، والختَّل.

والطريق من التِّرْمِذ إلى الصَّغَانِيَان: من الترمذ إلى جَرِمْنكَان مرحلة، ثمَّ إلى دارَزَنْجِي مرحلة، ثمَّ إلى الصغانيان مرحلتان.

والطريق من الصغانيان إلى واشْجِرْد: من الصغانيان إلى شُومان مرحلتان، ثمَّ إلى أنديان يوم، ثمَّ إلى واشجرد يوم، ومن الواشجرد إلى إيلاَق يوم، ومن إيلاَق إلى دربند يوم، ومن دربند إلى جاوكان يوم، ومن جاوكان إلى القلعة يومان، والقلعة من راشْت، ومن الصغانيان إلى باسَنْد مرحلتان، ومن الصغانيان إلى زنور مرحلة، ومن الصغانيان إلى بوراب مرحلة، ومن الصغانيان إلى ريكدشت ٦ فراسخ، والطريق من بوراب يجاوزها بفرسخين، ثمَّ يجاوز ريكدشت بثلاثة فراسخ على سمت الطريق إلى بباب، ومن الترمذ إلى القُواذِيان مرحلتان، ومن القواذيان إلى الصغانيان ٣ مراحل، ومن واشجرد إلى قنطرة الحجارة يوم، فهذه مسافات ما بين الصغانيان إلى أقصى الختَّل.

ومسافات خوارزم: من مدينة خوارزم إلى خَيْوَه مرحلة، ومن خَيْوَه إلى هَزَارَسْب مرحلة، ومن المدينة إلى الجرْجانيَّة ٣ مراحل، ومنها إلى أُرْدَخُشْمِيثَن مرحلة، ومن أُرْدَخُشْمِيثَن إلى نُوزوار مرحلة، ومنها إلى الجرجانيَّة مرحلة وبين هزارسب وكردران خواش ٣ فراسخ، ومن كردران خواش إلى خيوه ٥ فراسخ ومن خيوه إلى سافَرْدَز ٥ فراسخ، ومن سافردز إلى المدينة ٣ فراسخ، ومن المدينة إلى درجاش مرحلتان، ومن درجاش إلى كُرْدَر مرحلة، ومن كردر إلى قرية براتكين يومان، ومَذْمينية وقرية براتكين متقاربتان، غير أنَّ الأقرب إلى جيحون مذمينية، ومن مذمينية إلى وادي جيحون ٤ فراسخ، وبين مرداجقان ونهر جيحون فرسخان، وهي بحذاء الجرجانيَّة، وبين الجرجانيَّة وجيحون فرسخ.

وأمَّا مسافات المدن ببخارى: فإنَّ من بُومِجْكَت وهي قصبة بخارى إلى بِيَكْنْد مرحلة، ومن بُومِجْكَت إلى خُجَادَة ٣ فراسخ على يمين الذاهب من بخارى إلى بيكند، وبينها وبين الطريق نحو فرسخ.

وأمَّا مَغْكانْ فإنَّها من المدينة على ٥ فراسخ عن يمين طريق بيكند، وبينها وبين الطريق نحو ٣ فراسخ.

وأمَّا زَنْدَنَة فإنَّها من المدينة على ٤ فراسخ في شماليِّ المدينة، وأما بُومِجْكَت فإنها على يسار الذاهب إلى الطَّوَاويس على ٤ فراسخ، وبينها وبين الطريق نحو نصف فرسخ، وبين كَرْمِينِيَة وخُدِيمَنْكَن فرسخٌ ممَّا يلي السُّغْد، وبين خديمنكن وطريق سمرقند غلوة عن يسار الذاهب إلى سمرقند، ومَذْيَامَجْكَت وراء وادي السغد أعلى من خديمنكن مقدار فرسخ، وجَرَغَانْكَث بحذاء كرمينية على فرسخ من وراء الوادي، وخرغانكث عند مذيامجكت.

وأمَّا مسافات مدن سمرقند والسغد: فإنَّ من سمرقند إلى أبارْكَت ٤ فراسخ، ومن سمرقند إلى وَرَغْسر ٤ فراسخ، ومن وَرَغْسر إلى بنجيكت ٥ فراسخ فمن سمرقند إلى بنجيكت ٩ فراسخ، ومن سمرقند إلى وَذَار فرسخان، ومن سمرقند إلى كَبُوذَنْجَكُث فرسخان، ومن سمرقند إلى اشْتِيخَن ٧ فراسخ على شمال سمرقند، ومن اشْتِيخَن إلى الكُشَانِيَة غربيَّ اشْتِيخَن ٥ فراسخ، ومن اشْتِيخَن إلى زَرْمَان فرسخ واحد، ومن الكشانية إلى رَبِنْجَن فرسخان.

والمسافات بكِشّ ونَسَف: فمن كِشّ إلى نسف ٣ مراحل ممَّا يلي المغرب، ومن كشّ إلى الصغانيان ٦ مراحل، ومن كشّ إلى نَوْقَد قُرَيْش ٥ فراسخ على طريق نسف، ومن كشّ إلى سُونج فرساخان، يُعدل إليها من نوقد قريش واسكيفغن على فرسخ من سونج، وسونج أقرب إلى نسف من اسكيفغن، ومن نسف إلى كَسْبَة ٤ فراسخ على طريق لبخارى أسفل من الطريق الَّتي ذكرنا، وبين نسف وبين بَزْدة ٦ فراسخ فهذه مسافات مدن نسف وكشّ.

وأمَّامسافات مدن أُشْرُسَنَة: فإنَّ من خَرَقَانَة إلى دِيزَك ٥ فراسخ، ومن خرقانة إلى زَامِين ٩ فراسخ، ومن زامين إلى ساباط ٣ فراسخ، ومن زامين على طريق خاوس إلى كركث ١٣ فرسخًا عن يسار الذاهب إلى فرغانة، وبين مدينة أشروسنة وساباط ٣ فراسخ فيما بين الجنوب والمشرق، وبين نُوجَكَث وخرقانة فرسخان فيما بين المشرق والجنوب من خرقانة، وأرسيانيكت على حدّ فرغانة، من شرقي مدينة أشروسنة على ٥٩ فرسخًا، وفغكث على ٣ فراسخ، من المدينة في طريق خُجَنْدَة، ومن فغكث إلى غَزَق فرسخان، ومن غزق إلى خجندة ٦ فراسخ.

والمسافات بين مدن الشاش وإيلاَق واسْبِيجَاب وما يتَّصل بها بَنَاكِت على نهر الشاش، ومنها إلى خَرَشْكَت ٥ فرسخ، ومن خرشكت إلى خدينكت

فرسخ، ومنها إلى استوركت ٣ فراسخ، ومنها إلى دنفغانكت فرسخان، ومنها إلى زالثيكت فرسخ، ومنها إلى بِنكَث فرسخان فهذه المدن على طريق بناكت إلى بِنكَث.

وأمَّا المدن التي على طريق تُونكَت، وتونكت قصبة إيلاق فإنَّ من تونكت إلى نوغكت فرسخًا، ومنها إلى بالايان فرسخان، ومنها إلى بانجخاش فرسخان، ومنها إلى سكاكت فرسخ، ومنها إلى نوكث فرسخ.

فأمَّا ما بين نهر تُرك ونهر إيلاق ممَّا يلي المشرق من طريق إيلاق فإنَّ على ترك، من بِنكث على فرسخين جيغوكت وتليها على فرسخين فرنكث، وتليها على فرسخ بغنكث وتليها على فرسخين أنوذكت، وكذاك وغدرانك وكبرنه وغَزَك ووردوك وجبوزن كلُّها متقاربة في مقدار يوم أو نحوه، وما بين نهر تُرك ونهر إيلاق من غربي طريق إيلاق فإنَّها اشبينغو وكلشجك وأردلانكت وبسْكَت وسامسيرك وخُمْرَك وغنَّاج، كلُّها في مقدار مرحلة في نحوها.

وأمَّا ما بين بَنَاكِت ونوكث ونهر الشاش ونهر إيلاق، فإنَّها غرجند وخاش ودَخْكَث وتُكَّث وكوه سيم في مقدار يومين في أقلَّ من يوم.

وأمَّا ما بين نهر إيلاق ونهر الشاش عن غربي نوكث فإنَّها أربيلخ، ونموذلغ في مقدار ٥ فراسخ، وجِينَانْجَكَث على طريق وينكرد إلى بنكث وبينها وبين نهر الشاش فرسخان، ونجاكث على وادي الشاش، ويجتمع عندها بنهر ترك، وبينها وبين بناكت ٣ فراسخ، وكنكراك على نهر ترك بقرب خدينكت على فرسخ.

فأمَّا ما بين نهر ترك وحائط الشاش الَّذي من وراء القلاص فخاتونكث على فرسخين من المدينة وبركوش على ٣ فراسخ، من خاتونكث على سمتها،

ومنها إلى خركانكت ٤ فراسخ على سمت المشرق، ومن بنكث إلى اسبيجاب ٤ مراحل، ومن اسبيجاب إلى أُسْبَانِيكَت مرحلتان، ومن أسبانيكت إلى كدر قصبة باراب مرحلتان خفيفتان، ومن كدر إلى شَاوَغَر مرحلة، ومن شاوغر إلى صَبْرَان مرحلة خفيفة، ووَسِيج على غربيّ النهر على الشط أسفل من كدر بفرسخين، وباراب عن شرقي الوادي، وبين كدر والنهر نصف فرسخ.

والطريق من أَخْسيكَت إلى شِكِت ٩ فراسخ، وهي أوَّل مِيَان رُوذَان، ومن أخسكيت إلى سلات آخر ميان روذان نحو ٥ مراحل، ومن أخسيكت إلى كاسان في شماليّها ٥ فراسخ، ومن كاسان إلى أردلانكت منزلتان، ومن كاسان إلى نجم في سمت الشمال يوم، ومن أخسيكت إلى حدّ كَرْوان نحو ٧ فراسخ، وإلى وأنكت من أخسيكت نحو ٧ فراسخ، وحدُّها يتَّصل بإيلاق وهي بين المغرب والشمال من أخسيكت، وكراوان بينها وبين كاسان ٤ فراسخ، ومن أخسيكت إلى كروان نحو ٩ فراسخ، وباراب وأخسيكت على شطّ نهر الشاش وكَنْد بينها، وبين نهر الشاش زيادة على فرسخ، وكذلك بين وأنكت والوادي زيادة على فرسخ وبين خُوَاكَنْد والوادي ٥ فراسخ، ومن قُبا إلى رِشْتَان بينه وبين نهر الشاش كلّه نحو مرحلة، ومن قُبَا إلى اشتيقان ٣ فراسخ، ومن اشتيقان إلى الوادي ٧ فراسخ، وهي على طريق قبا إلى أخسيكت،، ومن سُوج إلى بامكاخش ٥ فراسخ، ومن بامكاخش إلى طماخس نحو من ميل، ومن بامكاخش إلى سوج ٥ فراسخ، ومن سوج إلى أوال على طريق أوجنه نحو ١٠ فراسخ،، ومن قبا إلى نَقَاذ نحو المشرق نحو ٧ فراسخ وحدودهما متَّصلة،، ومن أوش إلى مدوا فرسخان، ومن وأنكت إلى خَيْلاَم ٣ فراسخ، ومن خيلام إلى سلات ٧ فراسخ وسلات وبيسكند ليس بهما منبر، ولكنَّهما ثغران؛ فلذلك ذكرناهما.

آخر كتاب الأشكال